



«الجيش العراقي لم يكن لفئة أو حزب أو طائفة أو دين بل هو للعراقيين جميعا يحمل أهدافهم ويحمي تطعاتهم ويختصر وحدتهم غير القابلة للانقسام».

أسامة النجيفي
نائب الرئيس العراقي



«ندعو الأمم المتحدة إلى إرسال لجنة لتقصي الحقائق في الجرائم التي ترتكب بحق المدنيين في وادي بردى، لأن النظام يستخدم سلاحا جديدا ضد الشعب السوري وهو سلاح المياه».

بدر جاموس
عضو الهيئة السياسية في الائتلاف الوطني المعارض

ما تبقى من الأسد يحكم ما تبقى من سوريا

لا يدرك الجميع، وقد يكون رأس نظام دمشق أولهم، أن سوريا التي يتم تناول اسمها في وسائل الإعلام بشكل يومي منذ ما يقارب الست سنوات، مختلفة تماما عن تلك التي يتحدث عنها بشار الأسد في كل ظهور إعلامي له، بل إن الأسد نفسه ليس هو ذلك الشخص الذي كان يحكم تلك الدولة، فقد تغير كل شيء واختلت موازين الدولة، وباتت نهبا لكل الاحتمالات، ولم تعد وعود الإصلاح والمصالحات الشكلية قادرة على رأب الصدوع التي حدثت. فقد تحول الأمر برمته إلى أيدي لاعبين دوليين وإقليميين، ليس بشار الأسد واحدا منهم على أي حال، ورُسمت مشاريع معقدة ومتشعبة ليست من بينها فكرة الدولة السورية على الإطلاق.

وإذا كانت الأناضول تتجه الآن إلى العاصمة الكانزاخية أسناتنة بوصفها النقطة التي سيلتقي عندها الجميع في وقت ما من هذا الشهر ليضعوا الأسس لحل سلمي مفترض وفق رؤية روسية تركية فرضتها ظروف الأرض والتطورات التي طرأت على المشهد مؤخرا، فإن وجود رأس النظام مفاوضا على الجانب الآخر من الطاولة لا

يعني على الإطلاق قدرته على فرض شروطه التي يصر من خلال تصريحاته الإعلامية الإيحاء بأنه قادر على فرضها، وإنما هو مدعو شأنه شأن الآخرين وبقرار مباشر من موسكو التي حددت ظروف التفاوض وشروطها، ورتبت كل شيء بعيدا عما يريده نظام دمشق وحلفاؤه الآخرون، إيران وقطعان الميليشيات العاملة تحت رايتها، والذين لا يعجبهم أبدا البحث عن حلول تعطل مشروعهم الذي بدأت ملامحه تتشكل على الأرض، سواء أكرنا ذلك أو اعترفنا به، وتحديدًا في المناطق المحيطة بدمشق والتي لم يشملها اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه نهاية العام الماضي بين روسيا وتركيا من جهة، وفصائل المعارضة المسلحة من جهة أخرى.

فقد واصلت ميليشيا حزب الله سعيها الدؤوب لرسم خارطتها على الأرض ضاربة عرض الحائط بكل التعهدات، فهي أيضا تغيرت تغيرا كبيرا وتحولت من مجرد أداة يحرکها نظام دمشق وتعمل وفق توجيهاته في أوقات ساقطة إبان عهد الأسد الأب، وحتى ما قبل انطلاق الثورة السورية، بحيث

الشان السوري وللمواطنين السوريين بطبيعة الحال والذين باتوا يعانون من سطوة الميليشيات وحواجزها المنتشرة في أماكن نفوذها في العاصمة دمشق وما حولها أو حتى في المنطقة الساحلية التي ينظر إليها على أنها المنطقة الأكثر أمانا في هذا الحجم السوري، ولا تكتمل الصورة، طبعًا، إلا بالنظر إلى الجغرافيا التي تشير إلى أن ما يقارب ثلثي مساحة الدولة السورية بات خارج سيطرة النظام بشكل كلي ولا يمكنه أن يقترب منه أو يفرض قوانينه عليه، كما هو الحال في المناطق الشرقية الخاضعة لسيطرة تنظيم داعش، والذي يستطيع التحرك بسهولة حيثما يشاء دون أي مقاومة تذكر في الكثير من المرات، رغم وجود التنسيق الكامل بين النظام والتنظيم، والذي اعترف به مؤخرا أمين سر مجلس الشعب السوري خالد العبود.

أخيرا يجب ألا ننسى أن ثمة ثورة مازالت قادرة على إسماع صوتها رغم كل ما تعرضت له من أهوال. ثورة، وإن بدا الكلام نظريا، ما إن هدأت وتيرة القصف يوم الجمعة الأخير من العام 2016 حتى عادت لترفع شعاراتها الأولى التي رفعتها في أيامها الأولى والتي طالبت بإسقاط النظام.

ولأن النظام لم يعد هو نفسه النظام، مهما حاولوا نفخه، وسوريا لم تعد هي نفسها مهما بالغنا في رومنسيتنا، فإن التفاوض، إن حدث، سيكون على البقايا، بقايا نظام وبقايا دولة.

خالد الملا، على شاشة فضائية عراقية، بان الهيئة لها جمهور وناس، ودعا أصحاب وثيقة التسوية الشيعية إلى الحوار معها، مؤكدا أن بقاها مع البعثيين خارج العملية السياسية، لن يضمن نجاح المصالحة الوطنية في العراق.

إن نشر مقالات في الصحف الأميركية على شكل إعلانات مدفوعة الثمن مسبقا، كما فعل جمال الضاري أكثر من مرة، لا جدوى منه، ولن يفيد هذا النشر سياسيا أو إعلاميا، لأنه يخاطب الخارج الذي لا يعنيه من هو جمال أو غير جمال من السياسيين العراقيين، حتى لو كتب أو كتبت له المئات من المقالات، فهي لا تجد من يقرأها من العراقيين، كما أن جهودهم في التقرب إلى جنرالات أميركيين سابقين وسفراء متقاعدين، لن تثمر شيئا ناعما له، لأن السياقات المعمول بها في أميركا سابقا وحاليا، تؤكد أن من لا يملك موقعا أو مسؤولية الآن، لا تأثير له في الأوساط السياسية أو الحكومية ببلاده، وينظر إليه هناك كموظف سابق أدى وظيفته وانتهت خدماته.

علما وأن عددا من هؤلاء الجنرالات والسفراء المتقاعدين ممن عملوا في العراق، وبعضهم دعاه جمال الضاري إلى مؤتمره الباريسي في الصيف الماضي، تحولوا إلى وسطاء تجارين يحملون قنائب "السمسونايت" ويتنقلون بين أربيل والسليمانية يحفون عن عقد أو مناقصة، قد يوصي بإحالتها عليهم رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني أو هيررو إبراهيم أحمد، زعيمة حزب الاتحاد الوطني.

جمال الضاري واهم، إذا اعتقد أن كوثراني أو أي سفير أميركي سابق مثل كروكر، قادران على فرضه سياسيا في العراق، وهو لا ذكر له ولا أثر، حتى في وسط عشيرته (زوج) النباسة، التي عاين شيوخها وشبابها ومضاربيها في أبوغريب من رصاص الغزاة الأميركيين، الذين يتوسل بهم الآن، هذا الزويجي الذي فقد ظله، ويناشدهم تسليح السنة، وكان جيبوتي احتلت العراق ودمرته وليست أميركا.



كوثراني الشيعي اللبناني ومهزلة تسويق سني عراقي

تنازلات سياسية ومكافآت مالية، وقد حاول الكثير من سياسيي الصدفة والمحسوبين على السنة، تجريب حظوظهم، عبر زيارة الرجل الثاني في حزب الله واللقاء به، لإيجاد مكان لهم في الساحة السياسية، ولكنهم أخفقوا تماما في تثبيت منزلة سياسية محترمة لهم، أو كسب تأييد شعبي في مناطقهم، رغم أنهم دفعوا الملايين في سبيل ذلك، وكانت النتيجة أنهم خسروا (المشيتين) كما يقول المثل الشعبي العراقي، فهم لم يحصلوا على مرادهم كما كانوا يطمعون، ولم يجدوا من يقف معهم، مع أن بعضهم أصبح نائبا برلمانيا أو مسؤولا حكوميا، ولكنه ظل على الهامش معزولا عن بيئته السنوية التي تتحسس جدا من تدخلات أو وساطات قيادات شيعية، سواء كانت عراقية أو إيرانية أو لبنانية، في مساندة شخص سني ومعاونته لتبوء موقع سياسي أو تسلم منصب حكومي، كما أن الأوساط الشيعية المتنفذة ذاتها، تستخف بالسني المنبجح لها والمتعلق بأذنيها، والدلائل كثيرة وأبرزها حكاية النائب التعويضي مشعان الجبوري.

ومشكلة جمال الضاري أنه يريد حرق المراحل للوصول إلى الهدف الذي يتطلع إلى تحقيقه في إيجاد موطن قدم له في العملية السياسية على عيوبها، ولكنه لم ينتبه إلى جملة من المعطيات السياسية التي لو التزم بها لربما هيات له مدخلا لتحقيق ما يصبو إليه، منها أن يتمسك بمناصبه القريبة في هيئة علماء المسلمين ولا يتبرأ منه مقابل أن يرضى الآخرين.

فالهئية، سواء اتفقتنا أو اختلفنا معها، سجلت حضورا لافتا في الوسط السني العراقي منذ الشهور الأولى للاحتلال الأميركي وصحبت رقما صعبا في المعادلة السياسية، وأصبحت أنها فقدت بعض بريقها عقب رحيل قائدها الشيخ حارث الضاري وتولي نجله مثنى رئاستها، وهو لا يملك زخم والده رحمه الله، إلا أن الهئية مازالت تحظى بتأييد فئات من السنة العرب، وقبل أيام اعترف واحد من ألد خصومها ويدعى

نائر الزعزوع
كاتب سوري



باعتبار أن النظام لم يعد هو نفسه، مهما حاولوا نفخه، وسوريا لم تعد هي نفسها مهما بالغنا في رومنسيتنا، فإن التفاوض إن حدث، سيكون على البقايا، بقايا نظام وبقايا دولة

سوريا.. مصالحات صامته

هوازن خداج

كاتبه سورية



لا ترافقت الكارثة السورية مع ملف كبير من اللقاءات والمفاوضات التي تدفع بعجلة الحل السياسي إلى الأمام، كما ترافقت مع العديد من الهدن ومحاولات التهدئة أو ما يسمى بـ"المصالحات الصامته" التي تطبق برعاية النظام في العديد من المناطق الخاضعة لسيطرة القوات المعارضة، بدءا من حي الوعر في حمص وصولا إلى ما يجري حاليا في ريف دمشق الغربي.

الأحداث الكارثية في سوريا التي تم توصيفها تحت مسمى الحرب الأهلية، رغم قصور هذا التوصيف وتجاوزه للكثير من المعطيات وعلى رأسها التدخلات الخارجية لصالح النظام أو لصالح الميليشيات المسلحة، جعلت السعي لحل المشكلة السورية، الذي تتخذه الأطراف الخارجية الفاعلة في المسار السوري، يكتفي بالعمل على وقف إطلاق النار "المحدود" والتفاوض السلمي على تسويات الحد الأدنى بين القطبين "المعارضة والنظام" الناتجة عن التعامل بواقعية مع تعقيدات الصراع السوري وتداخلاته.

فهذه التسويات رغم اقتصرها على إدراك كافة الأطراف المتنازعة لاستحالة الحسم العسكري وجلوها على طاولة التفاوض والاتفاق فيما بينها على الاعتراف السياسي المتبادل، أو الاتفاق على دستور جديد وبعض الأمور التفاوضية الأخرى بحدودها الدنيا، فإنها تبرز مقدار اندغام الثقة بين الأطراف المتنازعة، والتعارض بين مصالح الأطراف الإقليمية والدولية الداعمة لأطراف الصراع، كما تظهر أن طريق السلام الذي تسعى لتأمينه لن يكون سلاما مستداما طالما لم يتعامل مع الجذور العميقة للصراع والمسببات الأساسية لاستمراره.

تسويات الحدود الدنيا قابلتها داخليا المصالحات الصامته التي تأتي بعد معارك منهكة وحصار وتجويع تؤدي إلى قبول الطرف المحاصر في حالة الضعف بما يقدم له من شروط تكتفي بإخماد النيران، ونقل الصراع من مكان إلى آخر، وفرض نوع من التعايش دون وضع حل نهائي ودائم.

فالخلاف المجتمعي السوري، الذي تأسس منذ ربيع العام 2011 في توصيف الأحداث وتأويلاتها والذي تحول لاحقا إلى فعل تمييزي لما تجسد على أرض الواقع من مجازر جماعية وتهجير قسري وهيمنة قيم الثأر والتعصب وشيطة الخصوم وغيرها، يشير إلى أن الكارثة السورية لا تنتهي بانتهاء الحرب، ولن ينهيها ترقب وقف إطلاق النار وتسجيل الخروقات والذي يكون مجرد مرحلة لالتقاط الأنفاس يعتمد فيها كل طرف إلى إعادة ترتيب أوراقه وبناء قدراته تحسبا وتجهيزا للحظة اندلاع النزاع مجددا، كما أن انتظار المفاوضات بين وفدي الحكومة ومجموعات المعارضة السياسية في أسناتنة أو جنيف لن يجدي نفعًا في الصراعات الداخلية ذات الأمتداد الخارجي، إذ أن أي تحفيز خارجي يقدم لأحد الأطراف سيفتح المجال لتجدد الصراع. أما المصالحات الصامته فحدودها القصوى الرهان على تكتيف أطراف النزاع وقبولها عمليا بالمساحة التي يشغلها كل طرف، دون أن تقوم بمحاولة تدمير بعضها أو الآخرين، وهو رهان متعثر ومحفوف بالانفجارات المستقبلية لابتعادها عن اتخاذ مسار المصالحة الشاملة والعلنية بمعناها التفاعلي القادر على نفاذ الاقتتال والتأسيس لبناء صحيح، والتي مازالت حتى الآن طريقا مسدودا في وجه السوريين.

فالمصالحة الشاملة تتطلب، إضافة إلى تسويات الحد الأدنى، الاعتراف المتبادل والمعلن للمصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأطراف الصراع، وبناء منظومة للعدالة الانتقالية، والاعتراف بأخطاء الماضي، والنظر في الانتهاكات بعد التحقق من صحتها ومحاسبة الجناة، والتعويض الحقيقي أو الرمزي لضحايا الأطراف المتضررة.

الواقع السوري العالق بين مفاوضات الخارج المرهونة بما تخيطه الدول والقوى الفاعلة التي تفرق السوريين بدمائهم، وبين مصالحات الداخل الهشة والآنية والمشروطة، لن ينتج تحت مسمى التسويات سوى "مسكنات" للحد من تصمير الأطراف المتنازعة على إنهاء الوجود المادي لبعضها البعض، والتي أبعثت من السوريين بوادر ظهور إجراءات عملية تمهد لمصالحات شاملة ناتجة عن قناعة مجتمعية في تجاوز سلبيات الماضي، والعمل على إنقاذ مستقبل سوريا التي ضربت الكارثة عمقها البشري والمادي والحضاري.

هارون محمد
كاتب عراقي



إذا صحت الإنباء التي انتشرت عن لقاء جمع بين مسؤول الملف العراقي في حزب الله اللبناني محمد كوثراني، ورئيس منظمة "سفراء من أجل السلام" جمال الضاري، خلال زيارة الأخير إلى بيروت مؤخرا، على رأس وفد ضم عضو مجلس الحكم الانتقالي السابق عن الخانة الشيعية وائل عبداللطيف وآخرين، فإن مثل هذه اللقاءات لن تسفر عن نتائج تخدم مصالح أو رغبات الطرف الذي سعى إليها وتوسل لعدها، لأنها ببساطة غير متكافئة وتفتقر إلى التوازن السياسي.

وصحيح أن كوثراني صاحب نفوذ واسع على أحزاب السلطة والميليشيات الشيعية في العراق، وسبق له أن لعب دورا كبيرا في ملمة البيت الشيعي الذي كاد أن يتهاوى في نهاية أغسطس 2014 عندما أخفق زعيم حزب الدعوة نوري المالكي في نيل الولاية الثالثة، إلا أن الحالة مع جمال الضاري تختلف لاعتبارات عدة أبرزها أن الأخير، لا يملك وزنا سياسيا مؤثرا في العراق رغم الدعم المالي القطري المتواصل له، وليس له حضور فاعل في بيئته السنوية، إضافة إلى أن المنظمة التي يرأسها ناشئة وجديدة وتحتاج إلى المزيد من الوقت والجهود للتعريف بها وانتشارها، فالمال وحده لا يكفي لإنتاج حزب أو مشروع سياسي، وتأييد كوثراني الشيعي لا يكفي لتصنيع زعيم سني، إذا لم تكن له حاضنة شعبية يستعين بها ويعتمد عليها في طرح أفكاره وتطلعاته، وهذه العوامل تفتقر إليها منظمته، التي يقتصر نشاطها على نفي انتسابه إلى هيئة علماء المسلمين وتبرير خروجه منها.

وليس من السهل على كوثراني، الذي يجج إلى مكتبه في الضاحية الجنوبية من بيروت العشرات من السياسيين العراقيين الشيعية أسبوعيا لتلقي التوجيهات والتعليمات، تأهيل السني جمال الضاري لإشراكه في العملية السياسية في العراق القائمة على المحاصصات الطائفية والعرقية التي حددت نسبها وطبيعة المشاركين فيها منذ الاحتلال الأميركي، مهما قدم الأخير من

المشاركة والتعقيب:
opinon@alarab.co.uk